

الفصل السادس عشر

العرب والعبرانيون

لم تذكر التوراة (العرب) في مواليد بني نوح : سام ، وحام ، ويافت^١ ، ولكنها ذكرت أسماء قبائل لا شك في أصلها العربي ، وفي سكنائها في جزيرة العرب . وهذا يؤيد ما ذهب إليه من أن كلمة (العرب) لم تكن تعني قومية خاصة ، ولم تكن تؤدي معنى العلمية ، وإنما ترادف (الأعراب) والبدو ، أي سكان البادية ، ولهذا لم تذكر في جداول الأنساب ، وذكرت في مواضع أخرى من التوراة ، لها علاقة بالبادية والتبدي والأعرابية . والا لم تسكت عن ذكر العرب بين الشعوب المصنفة في الجدول المذكور ، وقد كان العرب يجاورون العبرانيين وكانوا على اتصال بهم دائم ، فكان ينبغي ذكرهم في ذلك الجدول ، لو كانت هذه التسمية تعني العلمية في الأصل ، وتعني جميع سكان جزيرة العرب من حضر وبدو . أما وهي لم تكن تعني إلا قسماً من العرب ، وهم الأعراب أي حالة خاصة من الحالات الاجتماعية ، فلذلك لم تذكر ، ومن ذكر في الجدول كلهم حضر مقيمون يعرفون بأسمائهم ، وهم معروفون ، أو قبائل أعرابية عرف العبرانيون أسماءها فذكروها ، فن طبع العبرانيين إطلاق لفظة (العرب) على الأعراب الذين لا يعرفون أسماءهم وعلى البدو عامة دون تخصيص .

والبدو هم طبقة عاشت عيشة خاصة ، ولم تكن قبيلة واحدة أو قبائل معينة

١ التكوين : الأصحاح العاشر ، أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الأول

محدودة يمكن حصرها وارجاعها الى نسب واحد ، على نحو ما نفهم من كنعانيين وفينيقيين ، ثم ان الأعراب لم يكونوا ينتسبون الى جد واحد ولا الى أب معين ، لذلك لم تدخلهم التوراة في عداد الشعوب .

وقد ذهب جماعة من المستشرقين الى ان العبرانيين هم قوم أصلهم من جزيرة العرب ، هاجروا منها وارتحلوا عنها على طريقة الأعراب والقبائل المعروفة نحو الشمال . وجزيرة العرب لذلك هي الوطن الأم الذي ولد فيه العبرانيون . ودليلهم على ذلك هو الشبه الكبير بين حياة العبرانيين وحياة الأعراب ، وان ما ورد في التوراة وفي القصص الإسرائيلي عن حياة العبرانيين ، ينطبق على طريقة الحياة عند العرب أيضاً ، ثم ان أصول الديانة العبرانية القديمة وأسسها ترجع الى أصول عربية قديمة . أضف الى ذلك ان العرب والإسرائيليين ساميون ، وجزيرة العرب هي مهد الجنس السامي ، فالعبرانيون على رأسهم هم من جزيرة العرب ، وهم جماعة من العرب اذن ان صحت هذه التسمية ، بطرت على أمها وعاقنتها وهربت منها الى الشمال^١ .

ولذا جارينا التوراة في قولها بالأنساب ، نرى أن العرب والعبرانيين هم على رأيها من أصل واحد ، هو سام بن نوح ، ونرى أيضاً أنها تعترف ضمناً بقدم (البقطنيين) ، أي القحطانيين على الإسرائيليين . فالبقطيانيون هم أبناء يقطان ابن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام^٢ . وعلى ذلك فهم أقدم عهداً من بني اسرائيل ، وأغرق حضارة ومدنية منهم ، ولا سيما إذا ما عرفنا أن كلمة (عبري) على رأي كثير من العلماء تعني التحول والتنقل ، أي البداوة^٣ ، أي أنهم كانوا بدواً أعراباً ينتقلون في البادية قبل مجيئهم الى فلسطين واستقرارهم بها وتحضرهم ، على حين كان القحطانيون متحضرين مستقرين أصحاب مدن وحضارة . كذلك جعلت التوراة الفرع العربي الآخر الذي وضعته في قائمة أبناء (كورش) أقدم عهداً من الاسرائيليين^٤ .

١ Montgomery, Arabia, Nielsen, Handbuch der altarabischen Altertumskunde, I, S. 241.

وسيكون رمزه : Handbuch

٢ التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٢٠ وما بعدها .

٣ اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية (ص ٧٧ فما بعدها) .

٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٦ وما بعدها .

لقد كان العرب، بدواً وحضراً على اتصال بالعبرانيين ، فأينما عاش العبرانيون عاشوا مع العرب . ولعل هذا الاتصال هو الذي حل نسبائهم على عدّ العرب ذوي قرى لليهود ، ومن ذوي رحمتهم . وكان العرب حتى في أيام تكوين العبرانيين حكومة في فلسطين يؤثرون تأثيراً خطيراً في الوضع السياسي هناك . وقد كانوا يقطنون بكثرة في الأقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين وفي طور سيناء وغزة^١ . بل وكانوا يقطنون في القدس كذلك .

ومن علماء التوراة من يرى أن (أيوب) ، صاحب السفر المسمى باسمه ، أي (سفر أيوب) وهو من أسفار التوراة ، هو رجل عربي ، إذ كانت كل الدلائل الواردة في سفره تدل على أنه من العرب ، فقد كان من أرض (عوص) (Uz) . و (عوص) وإن اختلف العلماء في مكانها ، فالراجح عندهم أنها في بلاد العرب في (نجد) ، أو في بلاد الشام في (حوران) ، أو في (اللجاة) ، أو على حدود (ادوم) (Idumaea) ، أو في العربية الغربية في شمال غربي (المدينة) . ويرى بعضهم أنه كان يسكن في شرق فلسطين أو في جنوب شرقها ، أي في جزيرة العرب ، أو في بادية الشام^٢ .

وسبب هذا الخلاف ، هو أن التوراة لم تحدد مكان أرض (عوص) ، فبينما نرى أن سفر (أيوب) يتحدث عن هجوم (أهل سبأ) على ملك (أيوب) واستياق بقر كانت له تحرث الأرض وأتن ترعى^٣ ، مما يشعر أن أرض (أيوب) التي هي (عوص) ، كانت على مقربة من السبثيين . نرى هذا السفر يذكر بعد آية واحدة هجوم ثلاث فرق من الكلدانيين على ابل (أيوب) ، مما يجعلنا نتصور أن أرض (عوص) كانت على مقربة من الكلدانيين ، أي في البادية القريبة من الفرات^٤ . والرأي عندي أن (أيوب) كان رجلاً غنياً يملك ابلاً وبقرًا وأتنًا وأملاكاً ، وربما كان سيد قبيلة ، وله رعاة يتنقلون بماشيته في بادية الشام ما بين العراق وفلسطين وأعالي الحجاز ، فأغار (أهل سبأ) على بقر له كانت تحرث أرضه وعلى أتن كانت ترعى في أرضه، وأخذوها من رعاته وحرّاسه.

١ Enc. Bibl. I, P. 272. ff.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٨٨/١) ، (١٢٦/٢) . Hastings, P. 469, 956.

٣ أيوب ، السفر الاول ، الآية ١٤ فما بعدها

٤ أيوب ، السفر الاول ، الآية ١٧ . Hastings, P. 469, 956.

وهؤلاء السبثيون ، هم من السبثيين النازحين الى الشمال والساكنين في أعالي الحجاز وفي الأردن . فالغارة كانت في هذه المنطقة . أما غارة الكلدانيين فكانت في العراق على مقربة من أرض الكلدان ، وذلك لأن رعاة إبله كانوا قد تنقلوا الى هناك على عادة الأعراب حتى اليوم في التنقل يلبلهم من مكان الى مكان طلباً للماء والكلأ ، فاستولى الكلدانيون عليها وأخذوها ، ولا علاقة لها بين الغارتين بموطن أيوب .

وقد ذكر في سفر (أيوب) أنه (كانت قنيتيه سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان . وله عبيد كثيرون جداً ، وكان ذلك الرجل أعظم أبناء المشرق جميعاً)^١ . وتدل هذه الأرقام والأوصاف المذكورة لثروته أنه كان من أعظم الأغنياء في أيامه ، وأنه كان من (أبناء الشرق) ، هي ترجمة لجملة (بني قديم) (Bene Kedem) العبرانية ، وليس في التوراة تحديد لمكان (بني قديم) (بني قديم) ، ولا تعريف لهم ، ولكن التسمية العبرانية هذه ، تشير الى أن المراد منها من كان يقيم في شرق العبرانيين ولا سيما في البادية الواقعة شرق فلسطين^٢ . فهم إذن في نظر العبرانيين ، الساكنون في شرقهم . ولما كان أيوب من (بني قديم) ، ومن أرض (عوص) ، فيجب أن تكون أرض (عوص) في البادية في شرق فلسطين ، أي في منازل (بني قديم) الممتدة الى العراق^٣ ، وهي مواطن الأعراب . وقد عرف واشتهر بعض (بني قديم) بالحكمة عند العبرانيين^٤ .

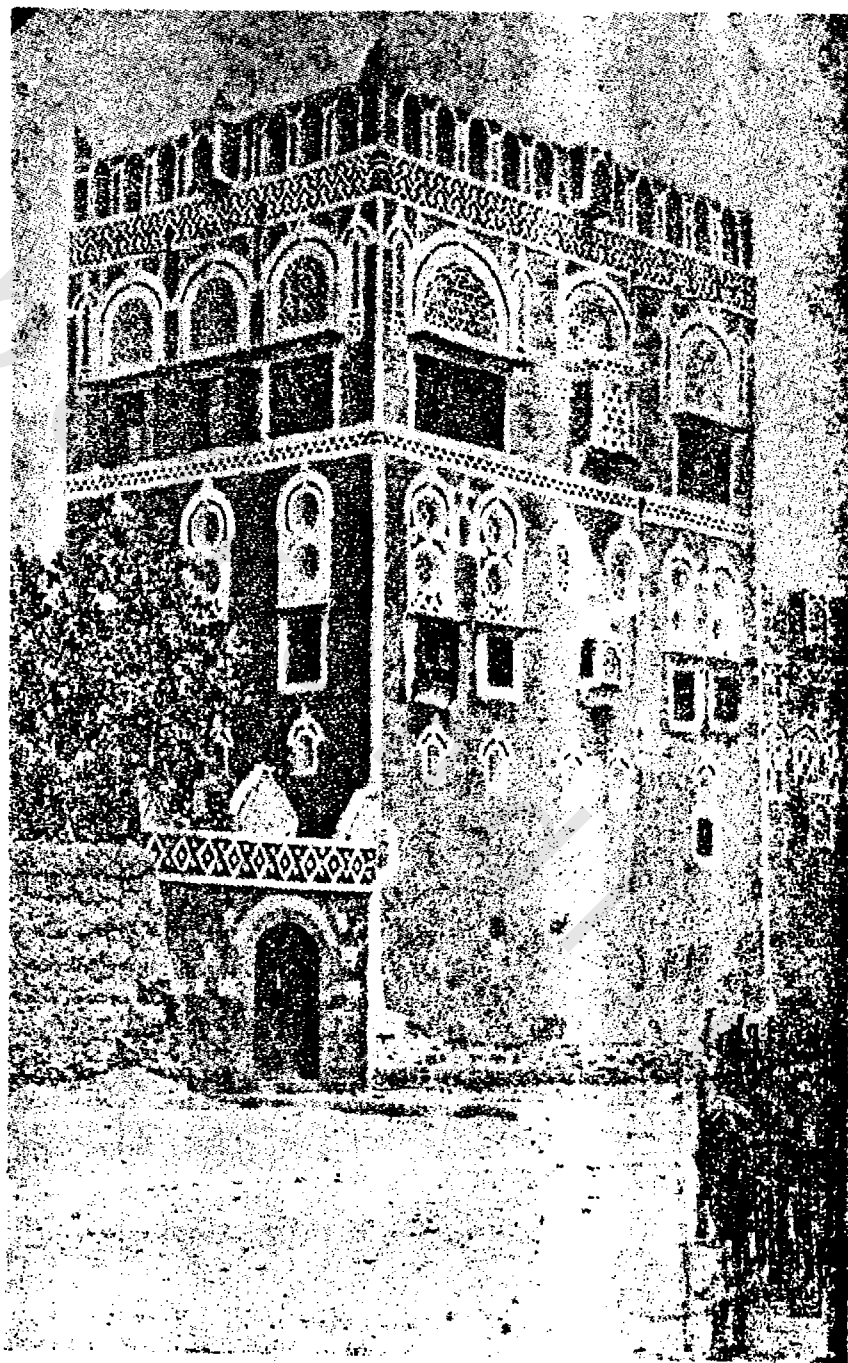
ويستدل من يقول بعروبة (أيوب) بالآثر العربي البارز على (سفر أيوب) . ومن قدماء من قال بوجود أثر للعروبة في سفره ، العالم اليهودي (ابن عزرا) (بن عزرة) (Ibn Ezra) (Ben ezra) من رجال القرن الثاني عشر . وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير الى وجود أثر عربي عليه ، حتى ذهب بعضهم الى أن

١ أيوب ، السفر الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ٣

٢ Montgomery, P. 41, 48, 49, 71, 169.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٦١٧ فما بعدها) ،

٤ Hastings, P. 200.



دار من دور سنعاء ، ويرى عليها الأثر المماري اليهاني القديم

ذلك السفر هو ترجمة لأصل عربي مفقود^١ .

وفي أثناء حديث التوراة عن أيام (داوود) وملكه ، أشارت الى رجل كان من شجعانه وأبطاله الذين تباهى بهم واقتخر ، دعتة (أبيل) العربي (Abiel)^٢ وكان من أهل (بيت عرابة) (بيت عربية) (Beth-Arabah) في تيه (يهودا)^٣ . ويدل لقبه هذا والموضع المذكور انه كان من العرب، وأشارت الى رجل آخر ، ذكرت انه كان على جمال (داوود) ، دعتة به (أوبيل الإسماعيلي) (Obil)^٤ ، فهو من العرب الإسماعيلين . ولا يستبعد أن يكون هذا الرجل من وجوه الأعراب، ولذلك أوكل اليه أمر إبله ، وهي حرفة من صميم عمل أبناء البادية .

وقد أشير في سفر (يوئيل) الى السبثيين ، فورد فيه : « ها أنا ذا أنهضتهم من الموضع الذي بعموهم اليه ، وأرد عملكم على رؤوسكم ، وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا لبيعوهم للسبثيين لأمة بعيدة ، لأن الرب قد تكلم »^٥ . وقد ورد هذا التهديد لأن الصوريين والصيدونيين وجميع دائرة فلسطين كانوا قد استولوا على فضة الهيكل في (أورشليم) وذهب ونفائسه ، وباعوا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) لبني (ياون)^٦ أي اليونان^٧ . فورد هذا التهديد على لسان (يهوه) إله اسرائيل متوعداً أولئك الذين نهبوا الهيكل وأسروا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) ، أي سكان القدس ، وباعوهم لليونان ، بمصير سيء ، وبانتقام الرب منهم ، وبقرب ورود يوم ، يبيع فيه (أبناء يهوذا) ، أي العبرانيين أبناء المذكورين الى السبثيين .

وتدل جملة « للسبثيين ، لأمة بعيدة » على ان السبثيين المذكورين كانوا يسكنون في منازل بعيدة عن العبرانيين . ويظهر انها قصدت السبثيين أهل اليمن، فهم بعيدون عن فلسطين . وكان تجار سبأ يأتون أسواق اليهود لشراء ما فيها من بضاعة بشرية لاستخدامهم في سبأ^٨ .

Montgomery P. 172, Foster, in Amerl. Journ. of Sem. Languages, October, 1932, PP. 31, Margollouth, The Relations, P. 30. ١

٢ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ١١ ، الآية ٣٢

Hastings, P. 3. ٣

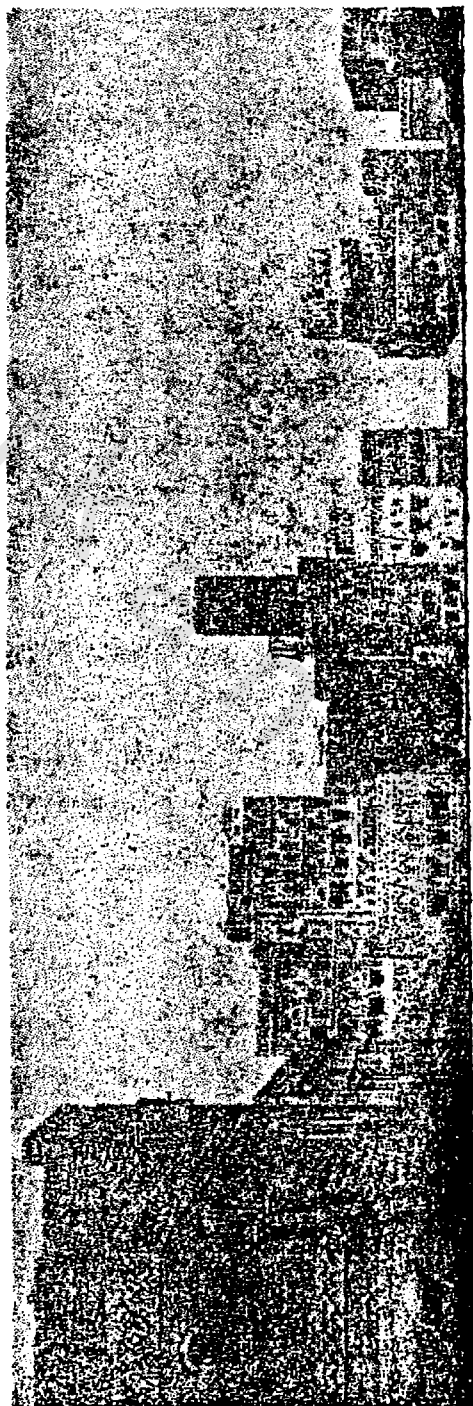
٤ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٣٠

٥ يوئيل ، الاصحاح الثالث ، الآية ٧ فما بعدها

٦ يوئيل ، الاصحاح الثالث ، الآية ٥ وما بعدها

Montgomery, P. 181. ٧

Margollouth, The Relations, P. 50, Hartmann, Arabische Frage, S. 421. ٨



سوق الحطب بمسناه . وتري بيوت السكن وقد حافظت على طراز البناء القديم

وفي التوراة خبر زيارة ملكة (سبأ) لسليمان ، وقصة هذه الزيارة ، وان دونت فيما بعد ، كتبها كتبة التوراة بعد عدة قرون ، الا انها تستند الى قصص قديم كان متداولاً ولا شك بين العبرانيين ، فدونه هؤلاء الكتاب .

وقد رأى بعض نقدة التوراة ان هذه القصة قد كتبها أولئك الكتبة لاثبات عظمة سليمان ، وسعة دولته ، وشهرة حكمته . غير ان هذا لم يثبت به حتى الآن . ورأى آخرون ان هذه الملكة لم تكن ملكة (سبأ) في اليمن ، لعدم ورود أسماء ملكات في النصوص العربية الجنوبية ، بل كانت ملكة تحكم في العربية الشمالية ، تحكم جماعة من السبئيين الذين كانوا قد نزحوا الى هذه المناطق منذ عهد بعيد ، وكونوا مستوطنات سبئية في الأردن وفي أعالي الحجاز^١ .

وتعلل التوراة سبب زيارة ملكة سبأ لسليمان بقولها : « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب ، فأنت لثمتحنه بمسائل ، فأنت الى اورشليم بموكب عظيم جداً . بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة ، وأنت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها^٢ . فلما سأله ورأت البيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقائه ومحرقاته التي كان يصعد فيها بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد ، فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك ، ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيني^٣ . وأعطت (سليمان) مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان^٤ . وجاء في سفر (الملوك الأول) حكاية عن الذهب الذي وصل الى سليمان : « وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستمئة وست وستين وزنة ذهب ، ما عدا الذي ورد من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض^٥ . ولا تعني جملة « وجميع ملوك العرب » و « كل ملكي

Hastings, P. 843.

- ١ الملوك الأول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١ فما بعدها ، وتقابل : سفر اخبار الايام الثاني ، الفصل التاسع ، الآية ١ فما بعدها من الترجمة الكاثوليكية .
- ٢ الملوك الأول ، الاصحاح العاشر ، الآية ٤ فما بعدها .
- ٣ الملوك الأول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١٠ .
- ٤ الملوك الأول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١٠ ، ١٤ فما بعدها ، اخبار الايام الثاني الاصحاح التاسع ، الآية ١٣ فما بعدها .

ها عرب ، في رأسي ونظري ملوك جزيرة العرب ، كما يفهم ذلك من ظاهر النص ، وانما تعني رؤساء أعراب كانوا يقيمون على مقربة من فلسطين ، وفي فلسطين نفسها ، دفعوا اليه هدايا وضرائب، لأنهم كانوا يتاجرون مع العبرانيين ، فقدموا اليه هدايا على قاعدة ذلك اليوم . وقد رأينا ان الآشوريين كتبوا مثل ذلك عن العرب وعن غيرهم في نصوصهم ، اذ لا يعقل خضوع كل ملوك جزيرة العرب لسليمان . فلم يكن ملكه قد جاوز حدود العقبة، كما نجد في التوراة، وقد ذكرنا ان لفظة (هاعرب) ، أي (العرب) انما كانت تعني الأعراب والبدو في العبرانية ، ولذلك فجملة « وكل ملوك العرب » تعني « وكل رؤساء الأعراب »، وهم كثيرون . فقد كانوا قبائل وعشائر ، ولكل قبيلة وعشيرة سيد ورئيس . وقد كان منهم عدد كبير في فلسطين وفي طور سيناء .

ووجه (سليمان) أنظاره نحو البحر ، ليتجر مع البلاد الواقعة على البحار ، وليستورد منها ما يحتاج العبرانيون اليه ، فأنشأ أسطولاً تجارياً في (عصيون جابر) (Ezion Geber) على خليج العقبة بجانب (أبلت) (أيلوت) (Elath) (ايلات) ، من أرض (أدوم)^١ . وقد عرف خليج العقبة بـ (بحر سوف) ، (يم - سوف) (Yam-Soph) في العبرانية . ولما كان العبرانيون لا يعرفون البحر ، استعان سليمان بـ (حيرام) ملك (صور) في تسيير الاسطول وتدريب العبرانيين على ركوب البحر . فأمدّه بخبراء من صور ، تولوا قيادة السفن، يخدمهم رجال سليمان . فبحروا البحر حتى وصلوا الى (أوفير)، وأخذوا من هناك ذهباً ، زنته أربع مئة وعشرون وزنة ، أتوا بها الى سليمان^٢ . ويظن ان (عصيون كبير) (عصيون جابر) (Ezion Geber) كانت عند (عين الغديان) في قعر وادي العربية ، على رأي بعض الباحثين^٣ ، أو (تل الخليفة) على رأي بعض آخر^٤ . وقد عرفت بـ (Berenice) فيها بعد^٥ ، وتقع الى الغرب من العقبة . وقد قامت بعثة أمريكية بحفريات علمية

١ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ .

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ فما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) .

٤ N. Glueck, in BOASOOR. Nos. 71, 72, October, and December, 1938, No. 76,

October, 1939, No. 80, October, 1940, J. Hornell, in Antiquity, Vol. XXI, June 1947

PP. 66, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1963, P. 44, 127, 128,

Hastings, P. 253. ٥

بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ في هذا الموضع ، وظفرت - فيما عثرت عليه من الآثار-
بأدوات مصنوعة من النحاس ومن الحديد . والظاهر أن سكان هذا الموضع كانوا
يحصلون على النحاس من مناجمه الغنية في (طور سيناء) .

وفي جملة ما عثر عليه من آثار في (تل الخليفة) جرتان ، عليهما كتابات
بأحرف المسند ، وقد قدر أن تأريخ صنعها لا يقل عن القرن الثامن قبل الميلاد .
وتدل أحرف المسند هذه على أن صانعيها كانوا يكتبون بهذا القلم ، وقد رأى
بعض الباحثين ، أنها من صنع أهل مدين . وإذا صح هذا الرأي فإنه يكون
دليلاً على أن المدينيين كانوا يكتبون به . ويرى (ريكمانس) (G. Ryckmans)
أن لهذه الكشف صلة بالمعنيين الذين كانوا في العلا وتبوك^١ .

وترى طائفة من علماء التوراة أن (أوفير) التي اشتهرت بوفرة ذهبها ، والتي
أرسل (سليمان) إليها سفناً مع سفن (حيرام) في طلب الذهب وخشب الصندل
والحجارة الكريمة^٢ ، هي أرض في بلاد العرب . ونظراً إلى ورود اسمها بين
(شبا) و (حويلة) في الإصحاح العاشر من التكوين^٣ ، ذهب بعض العلماء
إلى وقوعها في الأقسام الشرقية أو في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب^٤ .
ورأى (كلامر) أنها المنطقة الواقعة على ساحل خليج عمان والخليج العربي^٥ .
وذهب نفر آخر من علماء التوراة إلى وقوع (أوفير) في إفريقية أو في
الهند^٦ . ولكن الرأي الغالب أنها في العربية على ما ذكرت . وذلك ، لما ورد
في التوراة من أن (أوفير) ابن من أبناء (يقطان) ، وقد ذكر بين (شبا)

١ G. Ryckmans, On some Problems of South Arabian Epigraphy, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, London, 1952, Rep. Epig. 4918 bis, The Illustrated London News, Vol. 195, No. 5233, 1939, P. 247, G. Ryckmans, Revue Biblique, 1939, P. 247-249, N. Glueck, The Excavations of Solomon's Seaport: Ezlon-Geber, in Smithsonian Institution Annual Report for 1941, P. 479.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٧ وما بعدها ، الاصحاح العاشر ، الآية ١١ ، اخبار الايام الثاني ، الاصحاح التاسع الآية ١٠

٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٩

٤ قاموس الكتاب المقدس (١٧٨/١) Hastings, P. 669.

Enc. Bibl. P. 3514, Simon Dubnow, Die Alteste Geschichte des Jüdischen Volkes, Jüdischer Verlag, Berlin, 1925, Bd. I, S. 123.

Skizze, II, S. 353. ٥

Hastings, P. 669. ٦

و (حويلة) ، ونظراً الى أن مواطن اليقطينيين هي ما بين (ميسا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق)^١ . و (ميسا) وإن تباينت آراء العلماء في تعيين مكانه فمنهم من ذهب أنه (ميسيني) (ميسان) (Mesene) على رأس الخليج ، (خليج البصرة) ، أو (ماش) (ماشو) (Mashu) الأرض المذكورة في الكتابات الآشورية ، والتي تعني بادية الشام . أو أنه موضع (موزح) أو (موسح) في نجد ، أو اسم قبيلة من قبائل نجد^٢ . إلا أنك ترى من كل آرائهم انه اسم مكان في بلاد العرب ، أو اسم قبيلة عربية ، وأن (سفار) وهي الحد الآخر من حدود منازل اليقطينيين هي (ظفار) (Zafar) ، عاصمة مملكة حضرموت القديمة على رأي علماء التوراة^٣ . ولما كانت أسماء أبناء يقطان المذكورين ، والذين قد تحققنا من هويتهم كناية عن أسماء مواضع في جزيرة العرب ، وجب ان تكون (أوفير) في جزيرة العرب كذلك :

ومن الباحثين من يرى ان (أوفير) هي (عسير) ، ورأى آخرون انها ارض (مدين) وقد رجح اكثرهم كونها على سواحل جزيرة العرب الغربية او الجنوبية ، لأن الأماكن هي اقرب الى الوصف الوارد في التوراة من الأماكن الأخرى^٤ :

وقد ذكر الهمداني في (معادن اليامة) موضعاً سماه (الحفصير) ، قال : « ومعدن الحفير بناحية عماية ، وهو معدن ذهب غزير »^٥ . وصلة وجود الذهب فيه بغزارة ، تنطبق على هذا الموضع أحسن انطباق ، الا ان هذا الموضع بعيد عن البحر ، ولكن من يدري ؟ فلعل كتاب التوراة لم يكونوا يعرفون مكان (أوفير) ، وإنما سمعوا بذهبه ، الذي يتاجر به العرب الجنوبيون، من الموانئ الساحلية ، فأرسل سليمان سفنه الى مواضع بيعه في سواحل جزيرة العرب لشراؤه ، ومن هنا ظن كتاب (العهد القديم) ان (أوفير) على ساحل البحر . و(الحفير)

١ التكوين ، الأصحاح العاشر ، الآية ٢٦ فما بعدها

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٩/٢) Hastings, P. 606

٣ قاموس الكتاب المقدس (٥٥٨/١) Hastings, P. 836

٤ Spranger, Die Alte Geographie Arabiens, S. 53. ff. Moritz, Arabien, S. 7, Burton,

The Gold Mines of Midian, Skizze, II S. 347, Montgomery, Arabia, P. 38.

٥ صفة (ص ١٥٣ ، سطر ٢٤) .

كما ترى اسم قريب جداً من (أوفير) .
وقد ضرب المثل بكثرة تبر (أوفير) ، وبحسن سبائك ذهبها ، فورد في سفر (أيوب) على لسان (اليفاز التيناني) مخاطباً (أيوب) ، داعياً إياه الى توجيه وجهه لله : « فانك إن تبت الى القدير ، يعاد عمرائك وتنتفي الإثم عن أخيبتك ، فتجعل التبر مكان التراب وسبائك أوفير مكان حصي الأودية »^١ : وأنشأ سليمان خطأً بحرياً آخر ينتهي بأرض اشتهرت بالذهب كذلك ، سميت في التوراة (ترشيش) . وقد استعان سليمان بمدرسين وملاحين من (صور) ، أمده بهم (حيرام) ملك (صور) . وكان الأسطول مختلطاً اسرائيلياً وحيرامياً ، يذهب مرة في كل ثلاث سنوات . وأما البضاعة التي يعود بها من (ترشيش) فهي ذهب وفضة وعاج وقردة وطواويس^٢ . ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين موضع (ترشيش) ، فرأى بعضهم انه مكان في افريقية ، ورأى بعض آخر انه في مكان ما من سواحل آسية الجنوبية ، ورأى آخرون انه في اسبانية^٣ : وكانت سفن صور تتاجر مع ترشيش وتربح من هذه التجارة ربحاً فاحشاً ، كما جاء ذلك في التوراة .

وعلى أثر وفاة (سليمان) في حوالي سنة (٩٣٧ ق. م.) انشطرت حكومته شطرين : إسرائيل (Israel) و (يهوذا) (Judah) . وقد أثر هذا الانقسام على أعمال العبرانيين التجارية البحرية ، لذلك لا نسمع لها ذكراً في التوراة الى أيام (يهوشافاط) (Jehoshaphat) ابن الملك (آسا) (Asa) ، الذي حكم فسيما بين (٨٧٦) و (٨٥١) ق. م. تقريباً^٤ فتحدثنا التوراة أنه اتفق مع (أخزيا) ملك (إسرائيل) على بناء أسطول جديد في (عصيون جابر) ليسير الى (ترشيش) ، غير أن مأربهما لم يتحقق ، إذ تكسرت السفن ، ولم تستطع السير الى (ترشيش)^٥ . ويظهر أنه أراد إحياء فكرة (سليمان) القديمة في الاتصال بالبحر الأحمر والمحيط الهندي وإفريقية وبسواحل جزيرة العرب الجنوبية وبسواحل آسية ، إلا أنه لم ينجح^٦ . والظاهر أن العبرانيين لم يكونوا قد اتقنوا

١ أيوب ، السفر الثاني والعشرون ، الآية ٢٣ فما بعدها .

٢ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ فما بعدها

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٨٤/١ وما بعدها) Hastings, P. 895

٤ Hastings, P. 400.

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح العشرون ، الآية ٣٥ فما بعدها

٦ Dubnow, I, S. 165.

بناء السفن والسير بها في البحار ، فأخفقوا ، وأن نجاح (سليمان) في الوصول الى (أوفير) و (ترشيش) مَرَدَّه الى خبرة ومهارة البحارة الصوريين الفينيقيين .

ويظهر من سفر (الملوك الأول) ان (يهوشافاط) قام بنفسه منفرداً ببناء السفن لإرسالها الى (ترشيش) ، غير أنها تكسرت في (عصيون جابر) فعرض (أخزيا بن آخاب) ملك اسرائيل عليه أن يبنيا أسطولاً مشتركاً ، يشترك فيه ملاحون من اسرائيل وملاحون من يهوذا ، الا انه رفض ذلك^١ . ولم نعد نسمع بمحاولات أخرى للعبرانيين ترمي الى اعادة فكرة (سليمان) في بناء سفن بحرية للتجارة بها مع البلاد الواقعة على البحر بمسافات بعيدة عن اسرائيل .

نعم ، لقد كوّن (المكابيون) أسطولاً تجارياً لهم جعلوا مقره في (يافا) (Jappa)^٢ ولكنهم لم يتمكنوا من بناء أسطول لهم يخرق مياه البحر الأحمر ، ليزاحم العرب أو غيرهم فيه . فلم يكن الإسرائيليون من عشاق البحر على شاكلة الفينيقيين أو العرب الجنوبيين أو سكان العروش . ولولا المساعدة الثمينة التي قدمها ملك صور لسليمان ، لما استطاع العبرانيون أن يصلوا الى (ترشيش) أو (أوفير) .

وقد انصرف (يهوشافاط) على ما يظهر الى اقرار الأمن في حدود مملكته ، وتحسين علاقاته مع (آخاب) ملك اسرائيل ، ومع جيران (يهوذا) ، حتى تمكن من عقد محادثات معهم ، أدت الى الاستقرار والهدوء ، فلم يحاربوا (يهوشافاط)^٣ ، وهذا مما حمل علماء يهود على التجول في مدن (يهوذا) لتعليم الناس أحكام دينهم . وحمل اليه (الفلسطينيون) هدايا وجزى دفعوها فضة ، كما جاء في التوراة^٤ ، ودفع اليه (العرب) كما تقول التوراة أيضاً (٧٧٠٠) كبش و (٧٧٠٠) تيس^٥ . ويظهر ان (العرب) المذكورين ، هم من الأعراب النازلين في (يهوذا) ومن الأعراب الذين يفدون عليها للتجارة : والا

١ الملوك الاول ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ٣٨ فما بعدها
Montgomery, Arabia, P. 179.

٢ Hastings, P. 849.

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الثامن عشر ، الآية الاولى فما بعدها .

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١١

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الآية ١١

فلم يدفع الأعراب الساكنون في خارج (يهوذا) جزى أو هدايا للملكها ، وليس له سلطان عليهم ؟ وقد ترجمت لفظة (عربايم) العبرانية بلفظة (عربان) في ترجمة (جمعية التوراة الأمريكية) للتوراة الى العربية. أما (الترجمة الكاثوليكية) فقد ترجمتها بلفظة (العرب) . أما المراد من النص العبراني ، فهو (الأعراب) لأن لفظة (عرب) ، لم تكن تعني يومئذ الا هذا المعنى .

وتولى (يهورام) (Jehoram) (٨٥١ - ٨٤٣ ق.م.) ، الحكم على مملكة (يهوذا) بعد (يهوشافاط)^١ . وتذكر التوراة أنه قتل جميع اخوته وبعض رؤساء إسرائيل بالسيف^٢ . وأنه أغضب إلهه (إسرائيل) بأفعاله المنكرة، لذلك (أهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين ، فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً . ولم يبق له ابن إلا يوحاز أصغر منه)^٣ . وتذكر بعد ذلك أن الله ابتلاه بمرض في أمعائه وبأمراض رديئة (فذهب غير مأسوف عليه ، ودفنوه في مدينة داوود ، ولكن ليس في قبور الملوك)^٤ .

ويظهر أن هجوم العرب على (أورشليم) كان هجوماً شديداً عنيفاً كاسحاً، بدليل ما جاء في الآية التي أشرت إليها في التوراة، وفي الآية الأولى من (الإصحاح التالي) للإصحاح المذكور : (وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه ، لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب الى المحلة)^٥ . وفي هذا الهجوم الماحق دلالة على ضعف مملكة (يهوذا) وتضعف الأمن فيها وعلى التناحر الشديد الذي كان بين السكان حتى أننا لنجد الشعب فرقاً غير متفقة، وأكثرها تحاصم الحكام .

ويرى (مرغيلوث) (Margoliouth) أن المراد بالعرب الذين بجوار الكوشيين العرب الجنوبيون ، أي سكان اليمن . وذلك لأنهم في جوار (الكوشيين) أي

١ ملك ٨ سنين من سنة ٨٩٢ - ٨٨٥ ق . م) ، قاموس الكتاب المقدس

(٥٣٤/٢) . Hastings, P. 400.

٢ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٤ فما بعدها

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١٦ فما بعدها

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون الآية ١٩ فما بعدها

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الآية ١

الحاميين ، السودان ، وهم سكان إفريقية ، لا يفصلهم عنهم إلا مضيق (باب المنذب) . ويرى أيضاً أن ذلك الهجوم كان بحراً ، مستدلاً على رأيه هذا بأن العرب المذكورين سرعان ما تراجعوا الى منازلهم بغنائمهم وبما حصلوا عليه من أموال ، دون أن يكلفوا أنفسهم البقاء في (أورشليم) والامتلاء على (يهوذا) ، وبمساعدة الفلسطينيين للعرب في هجومهم على يهوذا ، وقد كان الفلسطينيون يسكنون سواحل فلسطين^١ .

أما (موسل) ، فيرى أن (العرب الذين بجانب الكوشيين) ، هم العرب النازلون في الأقسام الغربية من (طور سيناء) وعلى حدود مصر ، وفي الأقسام الجنوبية من (طور سيناء) وعلى مقربة من (أيلة) . وقد كانت (طور سيناء) موطناً قديماً للعرب ، وقد أشير في الكتابات المسماة الى ملوك عرب ، حكموا هذه الأرضين^٢ .

ويحدثنا الاصحاح السادس والعشرون من (أخبار الأيام الثاني) أن (عزيا) (Uzziah) ملك (يهوذا) (٧٧٩ - ٧٤٠ ق. م.)^٣ . كان مستقيماً في أول أمره مطيعاً لأوامر الكهان ، لذلك وفقه الله ، فخرج (وحارب الفلسطينيين وهدم سورجت وسور بينة وسور أشدود ، وبني مدناً في أرض أشدود والفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جوربعل والمعونيين^٤ . ويفهم من هذه الآيات أن الفلسطينيين والعرب كانوا جبهة واحدة متحدة ضد مملكة (يهوذا) . وقد كبدها خسائر فادحة كما رأينا . فلما تولى هذا الملك ، أراد رمي صفوف أهل مملكة (يهوذا) ووقاية مملكته ، وقد نال تأييد شعبه له ، فحارب الفلسطينيين وتغلب عليهم ، وحارب العرب الساكنين في (جوربعل) والمعونيين ، وهدم أسوار المدن التي عرفت بعداثها لـ (يهوذا) ، وبني مدناً جديدة في (أشدود) وفي الأرضين الساحلية المعروفة بفلسطين :

١ Margollouth, The Relations, P. 52.

٢ Hegaz, P. 274.

٣ Hastings, P. 401, 957, Enc. Bibl. P. 5240, Hegaz, P. 244.

ويذكر أيضاً «عزريا» وهو ابن «أمصيا» ، (٨٠٨ - ٧٥٦ ق. م.) (٧٨٢ - ٧٣٧ ق. م.) ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٠/٢) .

٤ أخبار الأيام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الآية ٦ وما بعدها

ومدينة (جث) ، هي مدينة قديمة في تخوم (دان) ، وبها ولد (جليات) (كليات) (Goliath) جبار الفلسطينيين كما أنها إحدى مدنها الخمس^١ : وكانت في أيام داوود في يد الفلسطينيين ، وكان عليها ملك اسمه (أخيش) (Achish)^٢ ، ولم يعرف مكانها بالضبط . وأما (بينة) ، وتعرف أيضاً بـ (يبنيل) ، فلأنها من مدن الفلسطينيين كذلك . وهي (بينة) في الزمان الحاضر ، وتقع على بعد (١٢) ميلاً جنوب (يافا) و (٣) أميال شرقي البحر^٣ ، أو (يمنة) على مسافة ٧ أميال جنوبي (طبرية)^٤ .

ولم يتمكن علماء التوراة من تثبيت موضع (جوربعل) . وتعني لفظة (جور) (مسكن) ، فيكون تفسير (جوربعل) (مسكن بعل)^٥ . ويظهر من ذكر الفلسطينيين والعرب الساكنين بهذا المكان والمعونين بعضهم مع بعض أن أرضهم كانت قرية بعضها من بعض ، وأنهم كانوا يداً واحدة على (يهوذا) . ويرى (موسل) أن الزاوية الشمالية الغربية من أرض (حسمى) هي (جوربعل) . وتقع في رأيه على مقربة من جبل (لرم) الذي يعرف اليوم باسم (رم) ، وهو (Aramaia) في (جغرافية بطلميوس) ، ويكون حداً من الحدود الشمالية للحجاز^٦ . وذهب بعض الباحثين إلى أن (جوربعل) تعني (صخرة بعل) ، في بعض النصوص الإغريقية ، ولهذا فسروها بـ (بطرا) . ولذلك قالوا إن العرب المذكورين كانوا العرب الساكنين عند (بطرا) (Petra)^٧ .

وأما (المعونون) ، فإن آراء علماء التوراة متباينة كذلك في تعيين هويتهم^٨ : وقد ذهب بعضهم إلى أنهم جماعة من (المعينين) ، الذين كانوا قد استقروا

١ يشوع : الأصحاح الحادي عشر ، الآية ٢٢ ، الأصحاح الثالث عشر ، الآية ٣ ، صموئيل الأول ، الأصحاح السادس ، الآية ١٧ ، الأصحاح السابع عشر ، الآية ٤ ، قاموس الكتاب المقدس (٣١٤/١ وما بعدها) .

٢ صموئيل الأول ، الأصحاح الحادي والعشرون ، الآية ١٠ وما بعدها ، الأصحاح السابع والعشرون ، الآية ١ وما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٤٩٤/٢) .

٤ Enc. Bibl. P. 2303, Hastings, P. 419.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤/١) . Enc. Bibl. P. 1920, Hastings, P. 322.

٦ Hegaz, P. 274.

٧ Montgomery, Arabia, P. 30.

٨ قاموس الكتاب المقدس (٣٦٢/٢)

في (ديدان) ، وكونوا مملكة معينة شمالية ^١ . وذهب بعض آخر الى انهم سكان (معين مصران) ^٢ .

وقد استعاد (عزيا) (أيلة) (ايلات) (Eloth) (Elath) ، وبني ميناءها ، وتقع في أرض (آدوم) ، وهي فرضتها الشهيرة ، ويقع على مقربة منها ميناء (عصيون جابر) الذي تحدثت عنه . وقد بقيت في ملك (يهوذا) الى ان استولى عليها ملك (أرام) ^٣ . وقد حاول (عزيا) ومن جاء بعده ، جعل (ايلات) (أيلة) ميناء (يهوذا) الجنوبي ، وذلك للاستفادة منه في الاتجار مع افريقية والبلاد العربية وسواحل آسية الجنوبية ، تطبيقاً لخطة (سليمان)، الا ان هذا الأمر لم يتحقق ، اذ لم تكن مملكة (يهوذا) قوية متمكنة في هذه المناطق الجنوبية ، التي كانت هدفاً للغارات والحروب .

ويظهر ان ميناء (عصيون جابر) كان قد خرب أو امتلأ بالرمال ، فلم يصلح للاستعمال ، فرأى (عزيا) استبدال ميناء (أيلة) به ، وقد يكون ماء هذا الميناء أعمق وأصلح للملاحة وللمواصلات من ذلك الميناء ، لذلك وقع اختيار ملك (يهوذا) عليه ^٤ .

وفي أخبار حملة (سنحاريب) التاسعة ما يفيد ان (حزقيا) ملك (يهوذا) استخدم الـ (الأربي) ، أي الأعراب ، فيمن استخدمهم للدفاع عن القدس (أورشليم) ، حينما حاصرها ملك آشور ^٥ . ولم يكن هؤلاء العرب ، الا أعراباً من سكان (يهوذا) ، ومن سكان الأرضين الأخرى في فلسطين .

وعلى عاتق هؤلاء الأعراب وقعت مسؤولية الدفاع عن القدس ، حيث قاموا بدور كبير في الدفاع عنها وفي مقاومة الآشوريين ^٦ :

ولما سمح الفرس لليهود بابل الذين كانوا في الأسر بالعودة الى بلادهم، توسل

1 Margoliouth, P. 51.

2 Winckler, AOF. 29, 337, Enc. Bibl. P. 3065.

3 اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الاية ٢ ، الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، الاية ٢٢ ،

قاموس الكتاب المقدس (١٨٤/١) Hastings, P. 211.

4 Montgomery, Arabia, P. 179.

5 Luckenbill, II, 240, Reall. I, S. 125.

6 A.R. Burn, Persia and the Greeks, P. 21.

(نحميا) الى (ارتحشتا) ، ملك الفرس ، بالسماح له بالعودة الى القدس ، وكان (نحميا) نديماً للملك ، يسقيه الخمر ويؤانسه ، فسمح له . ولما وصل اليها ، وجد المدينة خربة ، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها ، فجمع سكانها وأمرهم بإعادة بناء الأسوار واصلاح الثغر والثلج التي فيها ، وعمل أبواب جديدة . ولكنه لقي معارضة شديدة من (سنبلط الحوروني) و (طوبيا العبد العموني) و (جشم العربي) ، اذ عارضوا في إعادة بناء الأسوار والأبواب وهددوه بالزحف على المدينة . ونجد في (سفر نحميا) وصفاً لموقفهم من (نحميا) ، فيه استهزاء وسخرية به وازدراء بأمر سكان (أورشليم) وبالسور الذي أخذ في بنائه ، وبين المستهزئين أناس من العبرانيين . « ولما سمع سنبلط اننا آتئون في بناء السور ، غضب واغتاز كثيراً ، وهزأ باليهود ، وتكلم أمام اخوته وجيش السامرة ، وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ؟ هل يتركونهم ؟ هل يذبجون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحبون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة ؟ وكان طوبيا العموني بجانبه ، فقال : ان ما يبنونه اذا صعد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم »^١ . وقد تأثر (نحميا) من هذا الازدراء الشائن كثيراً ، فتراه يوجه وجهه لربه ويخاطبه قائلاً : « اسمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً وردّ تعييرهم على رؤوسهم واجعلهم نبياً في أرضي السبي »^٢ .

وصمم (نحميا) كما يقول على الاستمرار في البناء حتى إكماله « فلما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون ان أسوار أورشليم قد رمت ، والثغر ابتدأت تسد ، غضبوا جداً ، وتآمروا معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً »^٣ . ولكنهم كما يفهم من (نحميا) لم ينفذوا تهديدهم بالهجوم على القدس ، بل بقوا يتكلمون ويهددون ، يرسلون الرسل الى (نحميا) للاجتماع به ، ويذكر (نحميا) انهم لم يكونوا يريدون من هذا الاجتماع الا الفتك به ، فرفض . وعندئذ تراسل (سنبلط) و (طوبيا) مع أحد رؤساء (أورشليم) وهو (شمعي بن دلایا) ، ليدخل (نحميا) الهيكل ، ثم يعلن للناس انه دخل

١ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ١ فما بعدها

٢ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ٤ .

٣ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ٧ فما بعدها .

الهيكل خائفاً هارباً ، فتسقط مترلته من أعين الناس . وقد أحس (نحميا)
بالمؤامرة ، فرفض الدخول كما يقول^١ .

وكان (جشم) العربي ، من أشد المعارضين لبناء السور، ولتحصين القدس ،
وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل إعادة لدولة (يهوذا) ولتنصيب (نحميا)
ملكاً على (أورشليم) . وقد صرح برأيه هذا الى (نحميا) في رسالة وجهها
اليه نقل (نحميا) منها هذه الكلمات : (وجشم يقول : انك أنت واليهود
تفكرون ان تتمرّدوا ، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً بحسب هذه
الأمور . وقد أقت أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك^٢ .
وما كان (جشم) ، ليعارض بناء أسوار القدس ووضع الأبواب لها ،
واعادة حكومة (يهوذا) التي قضى عليها البابليون الى الوجود لو لم يكن صاحب
سلطان وحكم في أرضين تجاور القدس ، ولهذا رأى في إعادة الملكية الى القدس
عاصمة مملكة (يهوذا) المتقرضة ، تهديداً له ولمن تحالف معهم على مقاومة هذا
المشروع^٣ .

و (جشم) (Geschem) اسم من الأسماء العربية المعروفة . وفي القبائل
العربية قبيلة يقال لها (جشم) ، وهي من قبائل (بني سعد) ، وهو أيضاً
(جشم) من أسماء الرجال^٤ . ويرد بصورة : (جشمو) في الكتابات النبطية^٥ .
ولم يشر (نحميا) الى موطنه ومكانه ، ولذلك لا ندري أين كان . وقد ذهب
بعض الباحثين في التوراة الى أنه كان من أهل (السامرة) (Samaria) ،
وذهب بعض آخر الى أنه كان من أهل المناطق الجنوبية من (يهوذا) وأنه كان
رئيس قبيلة فيها^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (جشم بن شهرو) (جشم بن شهر) ،
هو (جشم) المذكور في التوراة . وهو أحد ملوك قبيلة (قيدر) (قدار)
(قدرو) . وهو الذي عارض (نحميا) في سنة (٤٤٤) قبل الميلاد في إعادة

١ نحميا ، الاصحاح السادس ، الآية ٢ فما بعدها .

٢ نحميا ، الاصحاح السادس ، الآية ٦ فما بعدها .

٣ (جشم) (Geshem) (Gushamu) Enc. Bibl. I, P. 273, ff.

٤ الاشتقاق (١٥٤/١) ، (١٧٧/٢) ، ٢٠٣ ، (٢٤٢) .

٥ Margollouth, P. 48, Montgomery, Arabia, P. 29.

٦ Hastings, P. 291, Enc. Bibl. P. 1710, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P. 162.

بناء سور (أورشليم) . وقد كانت (قيدار) مملكة تسيطر على أرض تمتد من (دلثا) النيل الى حدود مملكة (يهوذا) فجنوب (ديدان) بحوالي (٢١) كيلومتراً نحو الجنوب في الحجاز، أما في الغرب فتصل حدودها بالبادية^١ . فلك (قيدار) وهو (جشم بن شهر) ، كان إذن هو المعارض لبناء السور ، وفي معارضته هذه دلالة ولا شك على مقاومته لمحاولة إعادة دولة إسرائيل من بعد السبي .

ويظن أن الإناء الذي عثر عليه بمصر في موضع يقع على مسافة اثني عشر ميلاً الى غرب الإسماعيلية ، وقد دُوّن عليه اسم شخص يدعى (قينو بن جشم ملك قيدار) ، هو ابن (جشم) المعاصر (لنحميا) . وعلى ذلك يكون أحد ملوك (قيدار)^٢ :

وقد كانت (طور سيناء) منذ القديم أرضاً يسكنها العرب ، حتى في أيام داوود وسليمان . ونجد أن رسالة (القديس بولس) الى أهل غلاطية تجعل جبل سيناء في ديار العرب ، وتذكر أن (طور سيناء) موطن أبناء هاجر ، أي العرب^٣ . كما نجد أن النقب ووادي عربة كانا من مواطن الأعراب^٤ . وقد كان أعراب (جشم) وغيره ينتقلون وينزلون في هذه المواطن وعلى مقربة من القدس :

وفي هذا العهد وصل الاتجار بين فلسطين وبين العربية الجنوبية ذروته . فعثر على مواد كثيرة في مواضع متعددة من فلسطين استوردت من العربية الجنوبية . كما عثر في حضرموت على آثار تدل على أنها استوردت من فلسطين وبلاد الشام . وقد كانت حاصلات العربية الجنوبية هي من أهم السلع المطلوبة في فلسطين . ترسل اليها عن طريق البر على ظهور الجمال .

ومنذ عهد (نحميا) أي أوسط القرن الخامس قبل الميلاد ، أخذ العبرانيون

Grohmann, Arabien, S. 23, F. V. Winnett, Notes on the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, in Muséon, 51, (1938), 307, 309, W.F. Albright New Light on early Recensions of the Hebrew Bible, in BASOR. Num. 140, 1965, 81, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 145.

William Culican, The Medes and Persians, London, 1965, P. 161.

الإصحاح الرابع ، الآية ٢٤ فما بعدها .
W. F. Albright, The Archaeology. P. 145.

ينظرون نظرة عدااء الى العرب ، ويعتدونهم في الجماعات المعادية لهم^١ . وذلك مما يدل على اتخاذهم موقفاً موحداً ضد العبرانيين وعلى توغلهم في فلسطين في المناطق التي حكمتها حكومتا (إسرائيل) و (يهوذا) ، ولهذا اشتدت مقاومة العرب للعبرانيين واتحدوا مع الشعوب الأخرى في مقاومتهم ، وفي منعهم من إعادة تكوين حكومة يهودية في هذه البلاد .

ولما تولى (يهوذا المكابي) مؤسس أسرة (المكابيين) (Maccabees) (١٦٦ - ١٦١ ق. م.) الحكم ، حارب أعداء العبرانيين^٢ ، وكان من بينهم (تيموثاس) (Timotheus) رئيس (العمونيين)^٣ ، الذي استأجر جيشاً من العرب ومن الغرباء ليحارب به (يهوذا) ، غير أنه أصيب كما يقول (سفر المكابيين) بخسائر في كل المعارك التي خاضها مع (يهوذا) ، ولم يتمكن من الانتصار عليه^٤ .

وقد تحدث سفر المكابيين الثاني عن (تيموثاس) هذا ، فقال : (ثم ساروا (أي اليهود) من هناك تسع غلوات زاحفين على تيموثاس ، فتصدى لهم قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف ، ومعهم خمس مئة فارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الفوز لأصحاب يهوذا بنصرة الله ، فانكسر عرب البادية ، وسألوا يهوذا أن يعاقدهم على أن يؤدوا اليهم مواشي ويمدوهم بمنافع أخرى)^٥ . ولعل هؤلاء العرب ، هم العرب المذكورون ، الذين ذكر السفر الأول من المكابيين أن (تيموثاس) كان قد استأجرهم لمقاتلة اليهود . وقد كانوا من أعراب البادية ، كما نرى ذلك في هذا النص .

وورد في (سفر المكابيين الأول) اسم سيد قبيلة عربية هسو (زبدبثيل) (زبدابيل) (زبديل) ، وكان يقطن في (ديار العرب) ، كما جاء ذلك في السفر المذكور. ذكر السفر اسم هذا الرئيس وهو يتكلم على فرار (اسكندر بالس)

١ Margollouth, P. 48, Hastings, P. 406, Enc. Bibl. I, P. 273.

٢ Hastings, A Dictionary. I, P. 936.

٣ A Dictionary, I, P. 937.

٤ المكابيون الأول ، الأصحاح الخامس ، الآية ٦ فما بعدها ، ٣٤ فما بعدها ، المكابيون الثاني الأصحاح الثامن ، الآية ٣٠ ، الأصحاح التاسع ، الآية ٣ ، الأصحاح العاشر الآية ٢٤ فما بعدها .

٥ المكابيون الثاني عشر ، الآية ١٠ فما بعدها .

(Alexander Balas) الى (ديار العرب) ، وكان قد مني بهزيمة أوقعه بها (بطلميوس) (بطالماوس) (Ptolemy) ، عمه أي والد زوجته . وكان قد تخاصم معه . فلما وصل (إسكندر بالس) الى (ديار العرب) ، قبض عليه (زبديثيل) ، وقطع رأسه ، وأرسله الى (بطالماوس)^١ .

ولم يتحدث السفر المذكور عن منزل (زبديثيل) ، ولم يحدد مكان (ديار العرب) ، وعندى أن المراد بـ (ديار العرب) بادية الشام ، والأرضين التي دعاها الأشوريون بـ (أربي) (Aribi) ، وهي موطن آمن لمن يصل اليه ، إذ يصعب للجيش النظامية أن تقاتل فيها . وقد كان (زبديثيل) من رؤساء البادية في هذا الزمن . وهو حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد^٢ . وكان الحاكم على اليهود هو (يوناتان) من المكابيين .

ويذكر (سفر المكابيين) أيضاً أن (تريفون) (Tryphon) ، وهو أحد قواد (إسكندر بالس) ومن جماعته ، ذهب الى رجل عربي اسمه (إملكوئيل) ، وكان يربي (أنطيوخس بن الإسكندر) ، فألح عليه أن يسلمه اليه ليملكه مكان أبيه ، ومكث عنده أياماً . وقد تمكن عربي مع حقد العبرانيين المتزايد على العرب من حكم اليهود ومن تأسيس أسرة حاكمة حكمتهم . ذلك الرجل هو (انثياتر) (Antipater) الأدومي ، نسبة الى (أدوم) (Edom) (Idumea) (Idumaea) ، وهم سكان جبل سدير ، الذين دعاهم (اويشبيوس) (Eusebius) باسم (Gabelene) أو (Gabalene) أي الجبليين^٣ .

فقد تمكن هذا الرجل الذي لم يكن من أسرة ملكية ولا من أسرة معروفة بفضل شخصيته وبقوته من فرض نفسه حاكماً على (ادوم) (Idumaea) ، ثم تمكن من جعل نفسه حاكماً (Procurator) على اليهودية (Iudaea) (Judaea) ، وذلك في حوالي السنة (٣٣) قبل الميلاد . وفي خبر ان (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) ، اعترف به (Procurator) على اليهودية في حوالي السنة (٤٧) قبل الميلاد^٤ .

١ المكابيون الاول ، الاصحاح الحادي عشر الاية ١٥ وما بعدها

٢ Hastings, P. 20.

٣ Hastings, P. 345.

٤ Smith, A Dictionary of the Bible, I, P. 790. f. Josephus, Anti. Xiv, 7, 3.

ولما وقعت الحرب بين (يوناتان) المكابسي (١٦١ - ١٤٣ ق. م.)
و (ديمتريوس الثاني) ، ضرب (يوناتان) العرب المسمين بالزبديين (Zabadaeans)
وأخذ منهم غنائم كثيرة ^١ . حدث ذلك في سنة (١٤٤ ق. م.) . ويرى
بعض علماء التوراة ان هذه القبيلة العربية قبيلة (زيد) (زبيد) كانت تنزل
في موضع في شمال غربي (دمشق) ، ويرى بعض آخر احتمال ان ذلك المكان
هو (الزبداني) ، الذي يبعد عشرين ميلاً من الشام على طريق دمشق بعلبك ^٢ .
وأرى ان من المحتمل أن يكون هؤلاء (الزبديون) هم سكان (زيد) ، وهو
خرب في الزمن الحاضر ، يقع بين قنسرين ونهر الفرات . وقد اشتهر عند
المستشرقين بالكتابة التي عثر عليها في هذا الموضع ، وقد كتبت باليونانية
والسريانية والعربية ، ويرجع تاريخها الى سنة (٥١١ م.) . وقد أدخلهم (يوسفوس)
في عداد النبط ^٣ .

و (أرتاس زعيم العرب) الذي طرد (ياسون) من بلاده حينما التجأ اليه
فاراً من الملك (أنطيوخس) ، هو (الحارث) أو (حارثة) وهو من ملوك
النبط ، ولا شك . وقد ذكر اسمه في سفر المكابيين الثاني ^٤ .

وفي أيام (سترابون) كان العرب في جملة سكان مدن فلسطين ، مثل القدس
و (يافا) و (الجليل) ^٥ . وذكر (سترابون) ان (الأدوميين) (Idumaens)
كانوا يقطنون الأقسام الغربية من (اليهودية) (Iudaea) ، وهم على حد
قوله من (النبط) . ولما كان (سترابون) قد نقل كلامه من موارد أخرى
قديمة ، فما ذكره يفيد ان العرب كانوا يقيمون في فلسطين قروناً عديدة قبل
الميلاد .

وقد ذكر العرب في جملة الشعوب الساكنة في (أورشليم) يوم مرور الخمسين
يوماً على المسيح . ويظهر من أعمال الرسل ان أهل القدس كانوا خليطاً في تلك
الأيام من معظم شعوب العالم المعروفة يومئذ .

-
- ١ سفر المكابيين الاول الاصحاح الثاني عشر الآية ٣١ فما بعدها
 - ٢ Hastings, P. 982, Beeton, Dictionary of Religion Philosophy and Law, P. 1809.
 - ٣ Anti. XIII, 5, 10, Beeton, Dictionary, P. 1809.
 - ٤ المكابيون الثاني ، الاصحاح الخامس الآية ٥ فما بعدها . Dubnow, II, S. 48,
 - ٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٣١/١) .
 - ٦ أعمال الرسل ، الاصحاح الثاني ، الآية ٩ وما بعدها

وقد أطلق العبرانيون اسم (طيبة) و (طيابة) على العرب ، محاكاةً لبني إرم . فتجد اللفظة في (التلمود) وفي كتابات العبرانيين المدونة في القرون الأولى للميلاد . وقد أخذ الاسم (طيبة) و (طيابة) من (طيء) اسم القبيلة المعروفة ، على نحو ما ذكرت في الفصل الأول :

وقد ذكرت في (المدراس) قبيلة عربية عرفت بـ (سوجي) ، لعله (سواجر) ، أو ما شابه ذلك من أسماء^١ .

وفي التوراة مصطلحات يرى العلماء أنها كناية عن العرب . ففيها مصطلح (بني قديم) (Bene Kedem) ، ومعناه : (أبناء الشرق) ، ويقصد به الساكنون شرق العبرانيين ، أي سكان بادية الشام ، وهو في معنى (شركوني) (شرقوني) ، أي الساكنون في المشرق . وهم كما نعلم قبائل عديدة من العرب سكنت هذه البادية قبل الميلاد بمدة لا يعلمها إلا الله . وقد يكون من بين هؤلاء أقوام من الآراميين^٢ :

وقد وصفت التوراة بعض عادات العرب وزسومهم ، كما تعرفت لتجارهم : ولما كانت (فلسطين) امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب ، وجزء منها ، وكانت على طريق مصر وبلاد الشام وعلى ساحل البحر المتوسط ، صارت سوقاً مهمة للتجار العرب وللأعراب ، يأتونها لبيع ما عندهم من سلع ، وأهمها أنواع الطيب والذهب والحجارة الكريمة والأغنام والأعتدة وحاصلات بلاد العرب الأخرى^٣ ، كما كانوا يشترون من أسواقها ما فيها مما يحتاجون إليه من حاصلات حوض البحر المتوسط وبلاد الشام وفي جملة ذلك الرقيق .

وورد في (التلمود) اسم صنم عربي دعي (نشرا)^٤ ، ويقصد به (نسر) ولا شك . وهو من أصنام العرب المعروفة . وقد ذكر (ابن الكلبي) أن حير تعبدت لنسره . كما أنه ذكر في (التلمود) أيضاً (حج الأعراب) ، وذكر أن مواسم حجهم كانت تتغير بتغير فصول السنة^٥ . وقد تعرض للأحكام الشرعية

١ إخباري (٧/٣)

٢ Hastings, P. 200, The Bible Dictionary, I, P. 177.

٣ حزقيال ، الأصحاح السابع والعشرون ، الآية ٢١ وما بعدها .

٤ عبودة زارة ١١ ب .

٥ الأصنام (ص ١١ ، ٥٧)

٦ عبودة زاره ١١ ب ،

الخاصة بدخول البيوت ، فذكر انها لا تنطبق على خيام العرب ، لأنها منتقلة ، فلا تستقر في مكان واحد^١ . كما ذكر ان من عادة نساء العرب التحجب عند خروجهن الى المحال العامة^٢ . ولعله يقصد بذلك نساء المدن ، وذكر ان من عادة الرجال وضع اللثام على وجوههم في أثناء السفر لوقايتهم من الرمال^٣ ، وأشار الى أن للعرب مقدرة فائقة في معرفة مواضع المياه في الصحراء بمجرد شم الرمال^٤ . وورد في (المشنة) (المشنا) ان أغلب طعام العرب من اللحوم^٥ .

وقد ورد في (السنهدين) ، أن احد اليهود قص^٦ على الخبر (حية) (R. Hiyya) ، أنه رأى مسافراً عربياً أخذ سيفاً بيده فقطع به جملأً قطعاً ، ثم أخذ (جرساً) فدق به ، فنهض الجمل حالاً ، وكأنه لم يقطع لإربأ ، فقال له الخبر ، إن ما حدث هو نوع من الخداع^٧ .

ونجد في (السنهدين) كلاماً لـ (ربه بن برحنه) (Rabbah B. Bar Hana) يروي فيه ، أنه كان مسافراً ، وفي أثناء سفره التقى به عربي ، فقال له : تعال معي وسأريك الموضع الذي انشقت به الأرض وابتلعت جماعة (القورحين) (قورح) (Korah) . فذهب معه اليه ، ورأى به دخاناً . ثم أخذ العربي قطعة من صوف وبلتها بالماء ، ثم وضعها على رمح له ، ثم أدخلها الموضع فاستشاطت بالنار . ثم قال للعربي اصنع الى المكان ، لعلك تسمع شيئاً فيه . فسمع أصواتاً تقول : (موسى وتوراته على الحق ، أما القورحيون فهم كذآبون) ثم قال له في كل ثلاثين يوماً يتحول هؤلاء في جهنم (Gehenna) ، تتحول اللحم في القدر ، وهو يقولون : (موسى وتوراته على حق ، أما هم ، فهم كذآبون)^٧ .

ونجد قصة هذا الخبر في (بابا بثرا) (Baba Bathra) ، حيث يقول :

١ أهـوت ٢٨ : ١٠

٢ شبت ٦ : ٦

٣ موعيد قطان ٢٤ ، ومشنة كليم ٢٩ : ١

٤ بابا بثرا ٧٣ ب

٥ مناحوت ٣٦ ب

٦ Sanhedrin, 67b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, III, P. 460, Translated by, Rabbi I. Epstein.

٧ Sanhedrin 110a, 110b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, III, P. 757.

قاموس الكتاب المقدس (٢٢٦/٢) «قورح» .

لقد كنا في سفر في صحراء ، فالتقى بنا تاجر عربي ، وكان ممن يستطيع التنبؤ بمواضع المياه وبالأبعاد وبالطرق من شمّ التربة ، فأردنا الاستفسار منه عن أقرب مكان الينا فيه ماء . فقال لنا : أعطوني رملاً فأعطي ، فشبه ثم قال أقرب مكان اليكم فيه ماء هو على بعد ثمانية فراسخ (Parasangs) ثم سرنا وأردنا الاستفسار ثانية منه ، فقدمنا له رملاً ، شمه ثم قال لنا الماء على بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان . ثم حاول هذا الجبر اختباره لمعرفة مدى صدقه من كذبه ، فأبدل الرمل ، فلما قدم اليه رملاً آخر . لم يستطع أن يقول شيئاً^١ .

ويقص علينا قصة أخرى يزعم أنها وقعت له مع هذا التاجر العربي ، حيث يقول انه قال له : تعال معي أريك (أموات التيه) ، أي الإسرائيليين الذين ماتوا في التيه في طريقهم إلى أرض الميعاد . فذهب الجبر معه ، ورأى الأموات وكأنهم في حالة فرح وسرور ، وقد رقدوا على أظهرهم ، ثم يقول : وقد رفع احد هؤلاء الأموات ركبته ، ومرّ التاجر العربي من تحت تلك الركبة ، وقد كان حاملاً رجه راكباً بعيره ، ومع ذلك فإن رجه لم يمس رجل الميت . ثم يقول وقد ذهبت الى أحد الأموات الراقدين فقطعت جزءاً من ذيل ردائه الأزرق العميق ، وعندما حاولت الرجوع ، لم أتمكن من الحركة وبقيت ثابتاً في مكاني ، فقال له العربي : إذا أخذت شيئاً من هؤلاء فأرجعه الى محله ، وإلا فلأنك ستبقى ملتصقاً في مكانك ، لأن من يتناول على حرمة الراقدين يأخذ شيئاً منهم ، يجمد في مكانه ، ولا يستطيع التحرك . فذهبت وأرجعت القطعة وتمكنت عندئذ من السير^٢ .

ثم يذكر أن هذا التاجر العربي أخذه الى جبل الطور (جبل سيناء) (Mount of Sinai) فأراه إياه ، ثم اخذه الى الموضع الذي انشق بالقورحيين ، جماعة (قورح) ، فأراه شقين في الأرض ، ووجد الدخان لا يزال يخرج منها ، ثم يذكر أنه اخذ قطعة الصوف وادخلها هو بنفسه ، ثم أخرجها وإذا بها وقد علقت بها النار ، ثم يقص باقي القصة على نحو ما جاء في (السندهرين)^٣ . ونجد في (مينحوت) (Menahoth) فتوى تتعلق في نجاسة او طهارة قُرْب

١ Baba Bathra, 73b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, Baba Bathra, P. 292.

٢ Baba Bathra, 74a, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 292.

٣ Baba Bathra, 74a, Seder Nezikin, II, P. 293-294.

الماء . وقد ورد في هذه الفتوى ، أن القرب التي تشد وتعد بعقدة تكون طاهرة ، إلا اذا عقدت بعقدة عربية . فلأنها تكون نجسة ولا يحل الشرب منها^١ . ونجد هذا البحث مرة أخرى في مكان آخر من (المشنة) في كتاب الـ (كليم) (Kelim) ، أي (كتاب الأواني والأوعية) من (كتاب الطهارة) ، حيث عرضت آراء الأخبار في قرب الماء وفي كيفية عقد عقدها لمدة طويلة أو لمدة قصيرة ، ومن حيث شدة العقدة أو رخاوتها ، وتأثير ذلك في طهارة الماء . فأشير إلى قرب ماء العرب وموقفهم من الشرب منها أو من الاستفادة من مائها وهل يعد ماؤها طاهراً أو نجساً في الشريعة اليهودية ؟ وقد جاءت آراء الأخبار متباينة في ذلك^٢ : ويظهر أن اتصال العرب باليهود اتصالاً وثيقاً بالعراق، وسكن اليهود بين العرب في بلاد العرب ، أثار أمام اليهود هذه المشكلة الفقهية ، فهم مضطرون دائماً إلى الاتصال بالعرب وإلى شرب الماء منهم ، فظهرت من ثم عندهم هذه المشكلة ، وكان على الأخبار بيان رأيهم في طهارة ماء القرب ، وقرب العرب منها بوجه خاص ، لما في ذلك من علاقة بقضية الطهارة والنجاسة ومكانتها في فقه يهود :

وفي موضع آخر من كتاب (الأواني والأوعية) (Kelim) ، بحث عن جواز أو عدم جواز ارتداء بعض الأردية وموقف الشريعة من أكسية الرأس وأغطية الوجه والجسم ، فبحث في جملة ما بحث عنه ، عن القناع الذي يصنعه العرب على أوجههم وعن تلثمهم به ، فهل يجوز لليهودي شرعاً أن يفعل فعل العرب أم لا^٣ .

وقد استثنت (المشنة) في كتاب (أو حولت) أي (الخيام) ، عشرة مواضع من تطبيق أحكام الشرع عليها ، بخصوص طهارتها أو نجاستها لكون ساكنيها من الوثنيين . وقد ذكرت مضارب خيام العرب على رأس هذه المواضع العشرة التي لا تخضع لحكم الشريعة في موضوع حكم طهارتها أو نجاستها . وذلك لأن مضارب البدو غير مستقرة ، إذ أن الأعراب ينتقلون من مكان إلى آخر . لذلك لا يمكن تطبيق الأحكام الشرعية التي تطبق على العقار الدائم عليها في

Menahoth, 37b, p. 231, Translated by Eli Cashdan. ١

The Mishnahs, Kelim, P. 124. ٢

The Mishna Kelim? P. 138. ٣

موضوع نجاسة الأثاث والأواني وكل شيء يكون تحت الخيمة التي يموت فيها إنسان ، ولأن أصحابها غير يهود^١ .

وقد أشير في (مينحوت) (Menahoth) الى موضوع تقديم طعام مطبوخ في موقد عربي ، هل يقبل أو يرفض . فأشار بعض فقهاء الشريعة اليهودية الى عدم جواز الأكل من ذلك الطبخ^٢ .

ونجد في (بابا بئرا) (Baba Bathra) ، ان الخبر (ماير) (R. Meir) يستثني النبط والعرب والسلمونيين (Salmoeans) من الوعد الذي أعطاه الله لموسى حين أراه الأرض الموعودة^٣ . ويظهر ان (السلمونيين) ، هم قبيلة من القبائل العربية الشمالية^٤ . لعل لاسمهم علاقة ب (سلمان) .

وقد ورد ذكر العرب في كتاب الحيض (نده) (Niddah) من كتاب (الطهارة) في الفقه اليهودي . وذلك في موضوع العسدة وهل يجوز الاتصال بها ، أو لا يجوز ، على اعتبار انها خصصت لأداء الأعمال لا للاتصال الجنسي . وقد أجاز الخبر (شيشث) (R. Shesheth) ابداع العسدة أي المملوكة الى العرب ، على أن يقال لهم احتسروا من الاتصال بالإسرائيليات^٥ .

وفي التلمود والمشنه والكمارة مسائل فقهية أخرى عديدة يخرجنا ذكرها هنا من حدود هذا الموضوع تتعلق بموضوع صلات العرب واليهود . في مثل موقف الشريعة اليهودية من ذبائح العرب ، وهي التي يذبحها اليهود للعرب في مقابل اعطائهم اللحم ليقدم العرب دمها وشحمها للأصنام^٦ .

وموقف الشريعة من المرأة التي يأسرها الأعراب ثم تعاد بعد ذلك الى أهلها بعد فك أسرها، هل يجوز للعبر أو لغيره التزوج منها أو لا؟ أو موقف الشريعة من المملوكة اليهودية التي تكون في ايدي العرب ، من حيث احتمال دخول العرب بها^٧ . أو موقف الشريعة من الحبوب او المواد الأخرى التي تقع بين روث

The Mishnahs, Oholoth, P. 228. ١

Menahoth, 63a, Menahoth, P. 372. ٢

Baba Bathra, 56a. ٣

The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, P. 227. ٤

Niddah 47a, The Babylonian Talmud, Seder Tohoroth, P. 328. ٥

The Babylonian Talmud, Seder Kodashim, II, Hullin, P. 214, Hullin, 39b. ٦

The Babylonian Talmud, Seder Nashim, II, P. 199, Kethuboth, 36b. ٧

ماشية العرب^١ ، أو دخول إبل العرب في (كثوبة) (Kethubah) يهودي^٢ .
أو موقف اليهودي من المرأة^٣ . أو موضوع نظر اليهودي الى عضو من جسم
امرأة عربية ، مثل صدرها حينما يمر في مكان ويرأها وقد كشفت عن صدرها
لترضع رضيعها^٤ ، أو موقف الشريعة اليهودية من المختننين العرب^٥ .

ونجد في باب (الشهادات) (الوثائق) (كطين) (خطين) (Gittin)
قولاً لأحد الأخبار يقول : ان امرأة عربية جاءت الى أحد اليهود تحمل كيساً
فيه تعاويد لبيعها ، فقال لها اليهودي اعطيك تمرتين عن كل تعويدتين . فاغناظت
المرأة ورمت ما حملته في النهر . فندم اليهودي وقال وددت لو لم أكن قد أعطيتها
هذا العوض الرخيص^٦ .

وقد نشأت هذه العضلات الفقهية من اختلاط اليهود بالعرب في فلسطين وفي
الأماكن التي هاجروا اليها من بلاد العرب من جراء ضغط الرومان عليهم ،
وعدم تمكنهم من ممارسة عبادتهم في البلاد الخاضعة للحكم الروماني بسهولة وبحرية
تامة ، فهاجر كثير منهم الى أعالي الحجاز والى العراق حيث اختلطوا بالعرب
وعاشوا بينهم في مثل (الأنبار) و (فومبديثة) و (زقونية) (Zekonia) ،
وهو موضع على مقربة من (فومبديثة)^٧ . وموضع (بمكسه) (Be-Mikse)^٨ ،
(نهر دعة) (Nehardea) وسورا (Sura) وأماكن أخرى من العراق .
وقد كان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب وكانوا يعيشون معهم في كثير من
الأماكن ويتاجرون معهم . وكوّن اليهود لهم (كالوتا) أي (جالية) عاشوا
فيها متمتعين بشبه استقلال ذاتي ، يدير رؤساؤهم (كالوتاتهم) ، ويكونون
هم الممثلين لأتباعهم أمام السلطات صاحبة النفوذ الفعلي ، كما كانوا يعقدون أحلافاً
مع الأعراب على طريقة أهل المدن والحضر في عقد موثائق مع سادات القبائل
لمنع الأعراب من غزوهم ومن التحرش بأملأكهم وتجاراتهم .

-
- | | |
|--|---|
| Kethuboth 66b, II, P. 405. | ١ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, P. 408. | ٢ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, P. 452. | ٣ |
| Babylonian, Seder Nashim, II, 472, Kethuboth 75a. | ٤ |
| Yebamoth 71a, Babylonian, I, P. 479. | ٥ |
| Gittin, 45b, Babylonian, Seder Nashim, IV, P. 200. | ٦ |
| J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonian, S. 234, Hulin, 39b. | ٧ |
| Yebamoth, 45a, babylonian, Seedr Nashim, I, P. 295, Obermeyer, S. 334. | ٨ |

وأود ان أشير هنا الى أهمية (التلمود) و (المشنة) و (الكماره) ، بالنسبة لتأريخ العراق ، ففي أبوابها بحوث قيّمة عن مدن العراق وجغرافية العراق في عهد تدوين هذه الكتب ، وهي تمتد لمئات من السنين . ففي (القيدوشين) مثلاً ، أسئلة وأجوبة عن (اقليم بابل) وعن (ميسان) (Mesene) وعن (ميديا) ، وقد وردت فيها أسماء مدن وأنهار وقرى وغير ذلك مما يساعد كثيراً في فهم جغرافية العراق في عهود ما قبل الميلاد وما بعده^١ .

وقد تساهل الفرس في الغالب مع اليهود ، فنحوهم استقلالاً ذاتياً واسعاً في ادارة شؤون مستوطناتهم وفي ممارسة طقوسهم الدينية وفي الاتجار ، حتى صارت كل مستوطنة تدبر شؤونها بنفسها وتختار حاكمها بنفسها ، حتى ان بعضها وضعت على رأسها حاكماً يهودياً لقبته بـ (ملك) ، أدار شؤون الجالية طبقاً لأحكام يهود . وكان هؤلاء الحكام هم الصلة بين اليهود وبين الفرس . وقد صارت بعض هذه المستوطنات من أهم المراكز العلمية عند اليهود في العالم ، وفي ضمن ذلك فلسطين . وفي هذه المواضع دوّن (التلمود البابلي) ، دوّنه أحبارهم الذين استقروا في العراق . وهو يعد من أثنى التراث العبراني الذي ظهر عند اليهود . وقد تأثر بالروح العراقية حتى امتاز بها على التلمود الأورشليمي ، أي التلمود الذي كتب في فلسطين .

وقد لاقى اليهود مساعدة حسنة من العرب ، وعوملوا معاملة طيبة . ويظهر من مواضع في التلمود والمشنة ، أن العبرانيين فرّوا الى جزيرة العرب منذ أيام (بنح نضر)^٢ . وقد تأثر اليهود النازحون الى جزيرة العرب بعادات العرب ورسومهم . ويحدثنا (أبا أريخا) من الأحبار وكبار علماء التلمود في القرن الثالث الميلادي ، أن اليهود كانوا يؤثرون حكم الإسماعيليين ، ويقصد بهم العرب ، على الرومان ، ويؤثرون حكم الرومان على حكم المجوس^٣ . ومع ذلك ، فقد حدث خصام بين العرب واليهود ، فنجد في (التلمود) مواضع يظهر فيها حقد اليهود على العرب وكرهيتهم لهم . كالذي يظهر من كلام (الحبر يشوعه بن ليفي)^٤ (يشوعه بر ليفي) ، حين رأى أكواماً من العنب مكدسة ، فقال : (يا للبلاد

Keddushin 71b. ١

The Universal Jewish Encyclopedia, I, P. 439. ٢

Shabth Iia. ٣

R. Joshua b. Levi. ٤

يا للبلاد) . لمن هذه ، لأولئك العرب (الوثنيين)^١ الذين ثاروا علينا لخطيتنا^٢ .
وكالذي يظهر من كتاب (قدوشين) (Kiddushin) ، حيث ورد ، (أعطي
العالم عشرة (قابات) من الوقاحة ، خص العرب بتسع منها)^٣ . وفي هذا
الكلام دليل على تناول العرب على اليهود في المواضع التي كانوا يعيشون بها
معاً . وحقد اليهود عليهم من أجل ذلك .

ونجد في الأخبار السريانية والعبرانية أخبار غارات وغزوات قام بها عرب
العراق على الجاليات اليهودية التي انتشرت من (بابل) وماجاورها حتى جاوزت
شمال (عانه) على نهر الفرات . وقد ازعجت هذه الغارات اليهود الذين حولوا
هذه الأرضين الى أرض سادتها وغلبتها حتى صيرتها على شاكلة (وادي القرى)
عند ظهور الإسلام . فاضطروا الى تحصين مستوطناتهم وأحاطتها بأسوار والى
تشكيل قوات تقوم بحمايتها ليل نهار حتى في أيام السبت والأعياد اليهودية ، مع
تحريم الشريعة اليهودية العمل يوم السبت . وأباح الأخبار لهذه القوات حمل السلاح
في أيام السبت وفي أيام العطل حتى تكون على استعداد للدفاع عن تلك المستوطنات
في أية لحظة يشن فيها الأعراب غاراتهم عليها، إذ يحتمل أنها تقوم بقتل اليهود^٤ .
وقد تعرض الرعاة اليهود الذين كانوا يخرجون بماشيتهم من مستوطناتهم الى
البرية أو الى ضواحي مستوطناتهم الى غارات الأعراب عليهم ، وسلبهم ماشيتهم^٥ ،
كما تعرض اليهود الى الأسر ، فأسر عدد منهم ، نساءً ورجالاً . حتى سلبوا
وأُسروا بعض الأخبار ، لذلك كانت الجاليات اليهودية تخشى من الأعراب كثيراً
وقد تعرضت مدينة (نهردعة) (Nehardea) الى الغزو وذلك سنة (٥٧٠) من
التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد. فقد غزاها كما تقول الأخبار اليهودية
سيد قبيلة عربية ، اسمه (بابابر نصر) (بابا بن نصر) (Papa Bar Nasr) ،
وألحق بها أضراراً فادحة، وخرب بعض أماكنها ، وقد هرب منها بعض أخبارها
الى مستوطنات يهودية أخرى^٦ . وقد ذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz)

١ الوثنيون في طبعة (Bomb)

٢ Kethuboth 112a, Babylonian, Seder Nashim, II, P., 225.

٣ القاب (Kab) وحدة من وحدات الوزن Kiddushin 49b, Babylonian, Seder Nashim, IV, P., 249.

٤ 'Erubin 45a.

٥ Baba Bathra 36a.

٦ Koheleth 7, Citti 23a.

٧ Obermeyer, S., 254. ff.

الى أن هذا الأمير العربي المهاجم هو (أذينة) ملك تدمر وزوج الملكة الزباء^١. غير أن اشتهار ملوك الحيرة عند العرب بـ (آل نصر) وقرب الحيرة من مدينة (نهر دعة) واتصال عربها بالجاليات اليهودية يحملنا على التفكير في أن المهاجم هو أمير من أمراء (آل نصر). ملوك الحيرة، وهم حلفاء الفرس.

وورد في الأخبار أيضاً أن مدينة (فومبديشة) (Pumbaditha) تعرضت للغزو أيضاً، وهي من أمهات مدن الجاليات اليهودية. هاجمها جيش جاءها من (عاقولاء) ويظهر أنه من قوات (آل نصر) ملوك الحيرة^٢.

وقد كانت مدينة (فومبديشة)، محاطة بالأعراب. ولذلك كانوا يتعاملون معهم، ويأتون اليهم ويلبسون عندهم. وقد جاء في الأخبار أن أحبارها قد أباحوا لأهلها التعامل مع الأعراب في أيام أعيادهم، أي أعياد الأعراب. وذلك لأن أعياد الأعراب لم تكن ثابتة، تحل في وقت معين وفي مواسم متباعدة، لذلك جوسزوا لهم البيع فيها. لأن أحكام التلمود تمنع اليهود من التعامل مع الغرباء في أيام أعيادهم إذا كانت تلك الأعياد أعياداً دينية.

ولما كانت الشريعة اليهودية لا تعتبر العيد عيداً مقدساً دينياً إلا إذا كان يقع في أوقات ثابتة معينة لا تتغير ولا تتبدل في التقويم، لذلك أفقأ الأحبار بعدم اعتبار أعياد الأعراب أعياداً دينية، وأباحوا لأهل المدينة التعامل مع المعبدن في أيام أعيادهم:

ولاً^٣ فما كان يحل لهم بيع الأعراب شيئاً في أيام تبيدهم. وقد باعوا لهم خمرًا وحبوباً. أما بالنسبة الى أعياد الفرس والروم، فقد منع التلمود اليهود من التعامل مع الفرس أو الفرس فيها، لأنها أعياد ثابتة وقد نص على مواعيدها، وأشير إليها في التلمود، لذلك، طلب من اليهود الامتناع عن بيع الفرس والروم شيئاً في أعيادهم^٣.

ويذكر التلمود أن الأعراب (طبعه) (طيبة) (طياه)، المجاورين لموضع (صقونية) (Sikunya)، طلبوا من أهلهم وهم يهود أن يلبنوا لهم ذبائح في مقابل إعطائهم لحومها وجلودها، أما دمها فيجمع ويعطى للأعراب وذلك

Gratz, Geschichte der Juden, IV, 295. ١

Obermeyer, S., 223. ٢

Obermeyer, S. 234. ٣

لتقديمه لأربابهم . وكانت عاداتهم تلتبّخ أصنامهم بدم القرابين^١ .
وقد عرف الأعراب بـ (طييعه) في التلمود . أما السريان والموارد اليهودية
الأخرى المدونة بالسريانية ، فقد أطلقوا وأطلقت على الأعراب لفظة (طييعه)
(طيايا) ، وذلك بإسقاط حرف العين من الكلمة : (طييعه) والكلمتان من
أصل واحد ، هو (طيء) اسم القبيلة العربية المعروفة . وقد كانت في أيام
تدوين التلمود من أقوى وأشهر القبائل العربية ، حتى غلب اسمها سائر أسماء
القبائل ، فأطلق على كل عربي كائن ما كان^٢ .
وأطلقت لفظة (عربايه) في كتاب من كتب التلمود ، على العرب المزارعين
الذين استقروا على مقربة من (فومبيثة) . وذكر التلمود ان اولئك العرب
المزارعين كانوا قد انتزعوا مزارع اليهود بما فيها من أبنية وأملاك ، وأقاموا بها ،
ولهذا السبب ، فقد ذهب اليهود الى حبرهم وقاضيتهم (ابيه) (Abaya) ،
وطلبوا منه اعطائهم وثائق تملك أخرى، حتى يكون في إمكانهم مراجعة السلطات
لإثبات ملكيتهم لأملاكهم التي انتزعت بالقوة منهم^٣ .
وقد نزع يهود من فلسطين الى الحجاز ، فسكنوا وادي القرى حتى نزلوا
(يثرب) ، وذهب قسم منهم الى اليمن ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد .

Obermeyer, S. 234. ١

Obermeyer, S. 233. ff. ٢

Raba Bathra, 168b, Obermeyer, S. 235. ٣